مجلة الإحياء، المجلد: 23، العدد: 32، جانفي 2023، ص - ص: 817 – 826
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

عوامل تغير القيم المدرسية في المجتمع الجزائري
ـ دراسة وصفية تحليلية ـ

Factors school values change in Algerian society
-An analytical descriptive study-

علي مقداد
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
مخبر المجتمع ومشاكل التنمية المحلية في الجزائر
megdadali77@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/06/02 تاريخ القبول: 2022/10/17

الملخص:
يعد موضوع تحولات القيم في المدرسة الجزائرية من الإشكالات الراهنة، لاسيما إذا كانت التحولات الجوهرية والسريعة التي يعرفها المجتمع لا تسير بشكل منسجم ومتناغم مع ما تعرفه المدرسة من تغيرات في منظومة القيم، وما رافق ذلك من تداخل وصراع قيمي.

الأمر الذي يجعل المدرسة تواجه تحديات في مجال القيم، وذلك لأسباب كثيرة، تتمثل بالأساس فيما تعرفه هذه المدرسة من تحولات قيمية، مرتبطة أساسا بديناميكا المجتمع وتحولاته البنيوية العميقة، وهذا ما يلقي على عاتق المدرسة مسؤولية مواكبة هذه التحولات، من خلال فتح قنوات الحوار حول القيم، على نطاق واسع، من شأنه أن يفضي إلى اتفاق حول القيم المشتركة التي ينبغي على المدرسة الجزائرية تنشئة الأجيال عليها.

ونشير إلى أن المتعلمين يكتسبون، بالإضافة إلى القيم المسطرة في المنهاج الرسمي المصادق عليه، مفاهيم وقيما أخرى غير التي تسعى المدرسة إلى تحقيقها ولم يتم التخطيط لها رسميا. هذه التعددية في مصادر القيم كانت لها انعكاسات كبيرة في منظومة القيم بالمدرسة الجزائرية، كما أسهمت في بروز أنماط أخرى من القيم؛ مثل قيم العدوانية واللاتسامح، وعدم الاحترام والتملص من الواجبات وغيرها من القيم التي تتعارض مع قيم الحب والتسامح والاحترام والقيام بالواجب. ومنه وبناء عليه تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف عند بعض عوامل تغير القيم التي عرفتها المدرسة الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: القيم؛ المدرسة؛ التغير الاجتماعي.

Abstract:

Consider the object value transformation in Algerian school from the present problem. if he was transformation core and fasts there he know society he walking not the form compatible and proportionate with he know the school from changes in value system and he accompany this from overlap and value conflict.

In order to make the school defy challenges in the value domain and this, for big causes, appear based on what to know here, this school ,from value transformation, value base for dynamic society and here transformation observation profound and that what to drop at shoulder school responsibility accompaniment this transformation from toothpick open

channels dialogue about value at field specious from stain by to find to accord about participant value there to necessary at Algerian school breeding generations at here.

And we show that educates to profit in addition to rules in official method to make friends with definition and ex value there she goes the school to realization not work planning here official.

This diversity in value origin was a big reversity in value system for Algerian school there she participates in appeared modes from value ex hostility value and not toleration and not respect and escape from defuse and ex from value there to exposer with love value and toleration and respect and getting up for defies.

And from here and building here, to aim this study to stand by some factors value change there she knows Algerian school.

Key words: Value; school-social; change.

مقدّمة:

عرفت المدرسة الجزائرية تغيرات واضحة في مجال القيم، وذلك تبعا لما طرأ على المجتمع من تغيرات، وما صاحبها من ظهور حاجات ومتطلبات جديدة ونمو اجتماعي سريع وزيادة في المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، هذه التحولات أدت إلى حدوث شرخ في نسق القيم، حيث غلبت القيم الفردية ذات النزعة المادية على حساب القيم الجماعية، وذلك بسبب تميع الضوابط الاجتماعية، حيث أصبحت القيم المادية هي المحدد والموجه لسلوك كثير من أفراد المجتمع، خاصة الشباب منهم.

ونشير إلى أن المتعلمين يكتسبون، بالإضافة إلى القيم المسطرة في المنهاج الرسمي المصادق عليه، مفاهيم وقيما أخرى غير التي تسعى المدرسة إلى تحقيقها ولم يتم التخطيط لها رسميا.

هذه التعددية في مصادر القيم كانت لها انعكاسات كبيرة في منظومة القيم بالمدرسة الجزائرية، كما أسهمت في بروز أنماط أخرى من القيم؛ مثل قيم العدوانية واللاتسامح، وعدم الاحترام والتملص من الواجبات وغيرها من القيم التي تتعارض مع قيم الحب والتسامح والاحترام والقيام بالواجب.

ومنه وبناء عليه تهدف هذه الدراسة إلى الجواب عن السؤال التالي: ماهي عوامل تغير القيم في المدرسة الجزائرية؟ لكن نشير إلى أنَّ هذه العوامل متعددة بحيث يصعب الوقوف عند مجملها، لأن ذلك يقتضي دراسة واسعة تتجاوز حدود هذه الدراسة وهو ما سنحاول توضيحه فيما يلي:

1. مفهوم القيم:

يعتبر مفهوم القيم من بين أكثر مفاهيم العلوم الاجتماعية غموضا وارتباطا بعدد كبير من المفاهيم الأخرى، كالاتجاهات والمعتقدات والدوافع والمثل والثقافة ويرجع هذا الغموض إلى أنّ المصطلح مرتبط بالتراث الفلسفي من جهة، ويقع على أرض مشتركة بين مجموعة من العلوم والمعارف من جهة أخرى. (جلبي، 2003، ص160)

وبناء عليه فإنّ مفهوم القيم في علم الاجتماع يحتل أهمية محورية شأنه في ذلك شأن الثقافة والنظم، إذ تشكل القيم أحد الأركان الأساسية لثقافة المجتمع، فلا يمكن أن يكون مجتمع دون أن تكون هناك فئة منظمة من القيم الاجتماعية الموجهة لسلوك أعضائه والتي تحقق وحدة الفكر داخل ذلك المجتمع.

وقد أصبح علماء الاجتماع يستخدمون مفهوم القيم استخداما متزايدا وسرعان ما أصبحت القيم تمثل موضوعا من الموضوعات التي يهتمون بها إلى درجة أن صاغوا حولها نظريات سوسيولوجية كثيرة واعتبروها محددا من محددات السلوك الإنساني ومفتاحا لفهم الثقافة الإنسانية. (دياب، 2003، ص29).

1.1. تعريف القيم في اللغة: القيمة مأخوذة من الفعل قام، وقيمة الإنسان قامته، وأمر قَيّم مستقيم، أي أنّ القيمة تعني الاعتدال والانتصاب والوقوف، كما يعني الفعل قام بلغ واستوى. (الزبيدي، 1991، ص77).

2.1. تعريف القيم في الاصطلاح: لقد تناول علماء الاجتماع مفهوم القيم على أساسين مختلفين، فمنهم من درسه على أساس الموضوعات وما تنطوي عليه من قيمة، ومنهم من درسها كما يتبناها الأشخاص.

وإذا كانت القيم ملهمة للأحكام بالنسبة إلى التصرفات والسلوك، فهي أيضا الأساس الضمني لأي نموذج ثقافي، وهي تحتوي معايير للسلوك ذات صفة مميزة، تلك هي مثلا حالة قواعد اللياقات وأصول الآداب والقواعد التي تنظم الطقوس والشعائر وكثيرا من المعايير التي تقود أفعالنا وتوجهها في حياتنا اليومية.

ويمكن إجمال تعريفات القيم فيما يلي:

التعريف الأول: وهو للدكتور عبد اللطيف خليفة ويرى فيه أن القيم عبارة عن الأحكام التي يصدرها الفرد بالتفضيل أو عدم التفضيل للموضوعات أو الأشياء، وذلك في ضوء تقييمه لها، وتتم هذه العملية من خلال التفاعل بين الفرد بمعارفه وخبراته وبين ممثلي الإطار الحضاري الذي يعيش فيه ويكتسب من خلاله هذه الخبرات والمعارف. (عبد اللطيف ، 1992، ص59)

التعريف الثاني: وتذهب إليه مجموعة من علماء الاجتماع العرب وهو يعتبر أنّ القيم مجموعة من المعتقدات التي تتسم بقدر من الاستمرار النسبي، والتي تمثّل موجّهات للأشخاص نحو غايات أو وسائل لتحقيقها، أو أنماط سلوكية يختارها ويفضّلها هؤلاء الأشخاص بديلا لغيرها. وتنشأ هذه الموجهات عن تفاعل بين الشخصية والواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وهي تفصح عن نفسها في المواقف والاتجاهات والسلوك اللفظي والسلوك الفعلي والعواطف التي يكونها الأفراد نحو موضوعات معينة. (محمد علي، غريب، و جلبي، 2003، ص275)

3.1. مفهوم نسق القيم: يدل مفهوم نسق القيم على ترتيب القيم حسب أهميتها، فعلى قدر ما يوجد تعدد في مجالات الحياة والسلوك يوجد تعدد في نظم القيم الموجهة لسلوك الفرد. ومنه فإنّ نسق القيم هو بمثابة إطار تجميعي يضم مجموعة القيم المتنوّعة للأفراد والجماعات كعناصر ومكونات متكاملة معا ومكوّنة لنسق واحد. وتتفاوت القيم في أهميتها، بحيث يمكن في معظم الحالات ترتيبها تنازليا أو تصاعديا في مجتمع معيّن، وتتواجد القيم في أنساق مترابطة، فلكل مجتمع قيمه التي يحكمها اتساق داخلي يساعد أفراده على النظرة المشتركة للأمور وعلى حد أدنى من وحدة السلوك والاستجابة المنظمة للمنبهات نفسها.

وقد عرّف قاموس علم الاجتماع نسق القيم بأنّه نموذج منظم للقيم في مجتمع أو جماعة ما، وتتميّز القيم الفردية فيه بالارتباط المتبادل الذي يجعلها تدعّم بعضها البعض وتكوّن كلا متكاملا، هذا ويحدد النسق القيميُ إطارا لتحديد المعايير والمثل والمعتقدات والسلوك الاجتماعي. (محمد عاطف، 2016، ص518).

ويمكن أن نقول أنّ في نسق القيم لا يمكن دراسة قيمة معينة أو فهمها بمعزل عن القيم الأخرى، فهناك مدرج أو نسق هرمي تنتظم به القيم مرتبة حسب أهميتها للفرد والجماعة.

على الرغم من تباين الرؤى حول مفهوم القيم إلاّ أنّنا نجد قواسم مشتركة بين تلك الاتجاهات مفادها أنّ القيم تمثل محددا من محددات السلوك، وأنها لب الثقافة الإنسانية وأنّ القيم هي التي تحدد لنا ما هو مرغوب فيه وما هو مرغوب عنه، وأنها مستويات نحكم من خلالها على كل ما حولنا من مكونات ثقافية، وتوجّه تفضيلاتنا الاجتماعية.

كما يبدو أنّ تلك التعريفات تبرز الأبعاد الاجتماعية للقيم، وتركّز على الدور الذي تلعبه في المجتمع، ذلك أنّ المجتمع هو صانع القيم الإنسانية التي تترك آثارها على كافة مكونات البناء الاجتماعي، وتتأثر به في نفس الوقت، أي أنّ هناك تأثيرات تبادلية بين القيم كنسق من الأنساق الاجتماعية والأنساق المكونة للبناء الاجتماعي الكلي.

كما أنّ أنساق القيم هي المستويات التي نحتكم إليها في عرض ذواتنا أمام الآخرين وهي بالتالي مستويات توجهنا في إقناع الآخرين والتأثير فيهم لتبنّي مواقف أو معتقدات نرى أنها جديرة بالاهتمام. ولهذا فإنّ إحدى وظائف نسق القيم الأساسية هي الإسهام في خفض حدة الصراع والتوتر، والمساهمة في اتخاذ القرار على أساس الاختيار بين البدائل، حينئذ يمثل نسق القيم مخططا عاما أو مجموعة من المبادئ والقواعد كبنيان عقلي أكثر شمولا، لذلك فإنّ نسق القيم يحقق التوافق واحترام الذات، ومن الطبيعي أن يتفاوت الأفراد حول الأهمية النسبية للقيم التي تؤدي هذه الوظائف.

2. **عوامل تغير القيم المدرسية**: يمكن أن نذكر منها ما يلي:

1.2. **النمو الاجتماعي السريع وتنامي المشكلات الاقتصادية والاجتماعية**: في البداية نذكر أنّ مشكلة القيم في المجتمع الجزائري اليوم ينبغي أن نبحث عن عواملها في الماضي، نتيجة للتغيرات العميقة التي عرفها هذا المجتمع في كافة المجالات، الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والثقافية، منذ الاستقلال، ومازال يعرفها لحد الآن، وبدرجة أوسع وأعقد، والتي جرت معها مشكلات متنوعة وعديدة.

إن أغلب العوامل التي ساهمت في مشكلة القيم في المجتمع الجزائري إنما كانت انعكاسا للمشاكل التي خلفها الاستعمار وللتخلف الناتج عن ذلك من جهة، وللنمو الاجتماعي والديمغرافي السريع بعد الاستقلال، وما صاحبه من مشاكل وسلبيات من جهة أخرى.

إضافة إلى المشاكل الاقتصادية التي عرفها هذا المجتمع، والتي كانت آثارها واضحة على الأفراد والأسر والجماعات.

إن تدخل استعمار أجنبي في الجزائر زعزع بعمق بنياتها الاقتصادية والاجتماعية، وآثار هذه الفترة ما زالت بارزة إلى يومنا هذا.

لقد نتج عن الوجود الاستعماري في الجزائر ضعف المجتمع عن طريق انتشار الفقر والمرض والجهل، كما أنّ النمط الاقتصادي الاستعماري لم يكن موجَّهًا لتلبية أبسط احتياجات العائلات الجزائرية في الغذاء والملبس والمسكن والتعليم والتكوين المهني (Pierre & Abdelmalek , 2002, p25-26).

أما في مرحلة ما بعد الاستقلال فقد شهدت المدن الجزائرية تدفقا عفويا على المراكز الحضرية ممّا أدّى إلى عدم التوازن، وإحداث الخلل في الأوساط الاجتماعية للمدن التي عجزت عن أداء وظائفها أمام الازدياد المستمر لاحتياجات النازحين الصحية والسكنية والمهنية والتعليمية والترفيهية، وكانت النتيجة ظهور عديد من القيم الاجتماعية السلبية.

إن آثار التحولات الاجتماعية والاقتصادية على الشباب والمراهقين والتي تسببت في ظهور القيم السلبية في المجتمع الجزائري ناتجة أيضا عن مجموعة من العوامل الأخرى، نذكر منها مايلي:

- الصعوبات الاقتصادية والمشاكل التي تعيشها كثير من الأسر والتي جعلت أبناءها يعيشون في محيط اجتماعي واقتصادي وثقافي غير مناسب، مثل الفقر والسكن غير اللائق، من ناحية ضيقه ونوعيته وموقعه، إلى جانب المستوى الأخلاقي المتدني للأسر، والتربية الخاطئة، كلها عوامل رئيسية لها علاقة كبيرة بالقيم السلبية.

- الانفجار الحضري وما صاحبه من انتشار الأحياء الفقيرة التي تتمركز فيها كل الرذائل والموبقات، وهذا ما ألحق بالعديد من الأسر صعوبات كبيرة حالت دون توفير تربية سوية لأبنائها.
- الأزمة الأمنية التي جعلت عائلات بأكملها تهجر مناطقها الريفية وتضطر إلى تغيير وسطها الاجتماعي ونمط معيشتها نحو الأسوأ الأمر الذي انعكس سلبا على أبنائها الذين أصبحوا يعيشون في الفقر والحرمان مما أدى بالكثير منهم إلى تبني قيم سلبية.

ونشير إلى أن الفقر يشمل الأسر التي تعاني من سوء الأحوال الاقتصادية، كالأسر قليلة الدخل، وأسر الزوج العاطل عن العمل، كما يشمل الأسر التي تقوم الأم فيها بإعالة أولادها، والأسر التي تقع تحت ضغط مسؤوليات مالية أكبر من مواردها الاقتصادية، والأسر التي تعيش على المساعدات الضئيلة، كل ذلك لاشك يشكل عائقا كبيرا أمام الأسرة في تحقيق أسباب الضبط الأسري المطلوب وتحقيق ظروف التنشئة الاجتماعية السليمة. (محمود، 2021، ص78).

كما أنّ الفقر يعني السكنى المتواضعة وسوء العلاج والتغذية والجوع والعري وتفكك الروابط الأسرية والقلق واليأس والانزعاج والغضب، وكل ذلك يؤثر على أحوال الطفل والتلميذ الجسمية والتربوية والثقافية والنفسية.

فمن الناحية التربوية كثيرا ما يؤدي الفقر إلى سوء تربية النشء فقد تمتد فترات البطالة إلى شهور أو سنوات طويلة يوجه فيها أحد الوالدين أو كلاهما كل طاقتهما من أجل الحصول على العمل مما يصرفهما عن الإشراف على تربية الأولاد، كما أن قلة الدخل أو انعدامه كثيرا ما يجعل من راعي الأسرة شخصا حاد الطبع، عصبي المزاج، وغالبا ما يلجأ إلى أسلوب القسوة والعنف في تربية الأولاد، وقد يلجأ إلى أسلوب الإهمال والنبذ.

كما أن للظروف الاقتصادية السيئة عواقب وخيمة، ذلك لأنها كثيرا ما تضع الأفراد في تجربة نفسية شاقة قلما يفلحون في اجتيازها بشكل يضمن استمرارهم على العيش السوي، وفي احترام القانون، والمعايير الاجتماعية، وذلك لأن صاحب الدخل الضئيل لا يستطيع التجاوب مع القيم الاجتماعية المقبولة والمرغوبة في المجتمع لان وضعه الاقتصادي يحول بينه وبين التوسع في اهتماماته العقلية والنفسية والاجتماعية، وبالتالي نراه يشبع رغباته في المطالب الحسية البدنية فحسب، مثل الجنس، الطعام، الخمر، المخدرات. (المغربي، د.ت، ص126).

ومن ناحية أخرى فإن الفقر يقف حجر عثرة دون حصول النشء على القسط اللازم من التربية والتعليم، ذلك أن الوالد لا يكاد يرى في أبنائه قدرة على الكسب حتى ينتزعهم من المدرسة آملا في أن يساعدوه على مواجهة أعباء الحياة، وهو إذا تركهم في المدرسة فإنه لا يمنحهم المرافقة والتوجيه اللازمين في الدراسة وقد يدفعهم إلى الجمع بين الدراسة والعمل.

وهذا ما أوجد ظاهرة التسرب المدرسي وعجز المنظومة التربوية عن التكفل بالأطفال المتسربين، إلى جانب غياب المؤسسات التي ينبغي أن تأخذ على عاتقها مستقبل الشباب وإدماجهم اجتماعيا ومهنيا، وهذا ما خلق شبابا عاطلا، ضائعا، متسكعا في الشوارع دون أي هدف، وعرضة لكل القيم السلبية.

ومن الناحية النفسية فقد يؤدي الفقر إلى شعور الفرد دوما بالحرمان خاصة عندما يقارن بين مستواه المعيشي المتواضع وبين المستوى الذي يعيش فيه أفراد الطبقة الأكثر رفاهية مما يولد لديه اتجاهات ومشاعر تتجلى في قيم سلبية كالحسد أو الكراهية المفرطة وهذا بدوره قد يسهم في خلق قيم الصراع والعداوة.

2.2. **العولمة:** يمر عالمنا اليوم بمرحلة جديدة، وهي مرحلة ما بعد الحداثة، والتي من أبرز معالمها ظاهرة العولمة، وما رافقها من تطور هائل في المجال المعرفي والمعلوماتي، وفي مجال تكنولوجيا الاتصالات، وقد تأثرت منظومة القيم بهذه المستجدات والتغيرات العالمية، التي كان من نتائجها انحصار القيم التقليدية وظهور قيم جديدة، ذلك أن العولمة بالرغم من مظهرها الاقتصادي والسياسي، إلا أن لها انعكاسات هامة في المجال الاجتماعي والثقافي للمجتمعات الإنسانية، بما في ذلك الهوية وأنماط العيش والقيم، وقد يبدو للوهلة الأولى أنّ العولمة تستهدف الماديات والمواد الاستهلاكية فحسب، لكن في الواقع تستهدف عقلية الإنسان وقيمه الاجتماعية والأخلاقية وعقائده، فهي غزو ثقافي بأكمله، لأنها موجهة لفكر الإنسان بفضل حيازتها على منظومة معرفية شاملة ومنتظمة.

ولعلَّ المدرسة باعتبارها مؤسسة للتنشئة الاجتماعية، فيها تتشكل ملامح هوية الطفل والمراهق وقيمه الاجتماعية واتجاهاته، هي أكثر المؤسسات التربوية والاجتماعية تأثرا بهذه التحولات، فقد أصبحت وظيفتها بالغة الصعوبة، نظرا لهيمنة دور القوى والمؤثرات الخارجية وسيطرة المؤسسات الإعلامية ولاسيما وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي التي أصبحت كمنافس فعلي وقوي في عملية التنشئة الاجتماعية، وقد فرضت نفسها بقوة على بقية المؤسسات، موظفة في ذلك كل ما تملكه من وسائل الإغراء والاستقطاب، لا يملك المتعلم معها سوى الإذعان والاستسلام، خاصة وأنّ مرحلتي الطفولة والمراهقة هما مرحلتا التكوين الحقيقي والفعال للقيم الاجتماعية؛ بمعنى أن هذه التغيرات وضعت المتعلمين في مواجهة قيم اجتماعية دخيلة، كالميل إلى عدم احترام الضوابط الاجتماعية، وعدم التمسك بالقيم والعادات المتعلقة بالموروث الديني والثقافي، وبذلك يكونون قد ابتعدوا عن قيم المجتمع والمنظومة التربوية.

وقد أدى تنامي العولمة وما رافقها من تطور في مجال التقنيات الحديثة للمعلومات والاتصال، وانتشار القيم الاستهلاكية، وظهور صراع القيم والذي يتجلى في تجاذب قيم التقليد والحداثة داخل الأسرة والمجتمع، حيث يميل البعض إلى التشبث بقيم الحداثة، ويحرص آخرون على التمسك بالقيم التقليدية.

ويتجلى هذا الصراع في تمثلات الأفراد والجماعات لأنماط السلوك والممارسات المتعلقة بمؤسسة الزواج والأسرة وغيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية، كما أدت العولمة إلى تعميم القيم الغربية، وخاصة الأمريكية منها، وذوبان الحضارات غير الغربية في النموذج الحضاري الغربي، مثل تعميم القيم المتعلقة بالطفل والمرأة والأسرة، والمساواة بين الجنسين والدفاع عن حقوق الإنسان والأكثر من هذا هو صياغة تلك القيم في مواثيق الأمم المتحدة. (حيمر، 2013، ص12).

3. اختلالات في أوساط التنشئة الاجتماعية:

تنطلق غالبية الدراسات التي عالجت موضوع التنشئة الاجتماعية والسلوك الإنساني من افتراض أساسي مفاده أن سلوك الفرد هو حصيلة تفاعل طويل يحدث بينه وبين بيئته من جهة، وبين الفرد وأفراد جماعته الأولية من جهة أخرى، ومن أبرز الجماعات الأولية ما يلي: الأسرة، جماعة الرفاق، جماعة اللعب، العصبة، وهذه الجماعات هي التي تشكل الإطار العام للبيئة الأولى التي يتعامل معها الطفل خلال مراحل تنشئته الاجتماعية المبكرة والتي من خلالها قد يكتسب قيما اجتماعية سلبية نتيجة للاختلالات التي تصيبها وهو ما سنوضحه فيما يلي:

1.3. **اختلالات الوسط الأسري**: تعتبر الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى المسؤولة عن تنشئة الطفل، فكلما عملت على توفير الاستقرار النفسي والعاطفي من خلال علاقات عاطفية سوية أنتجت قيما أخلاقية وروحية سليمة قائمة على الحب والحوار والتفاهم.

فالأسرة إذن هي المحور الذي تدور حوله جميع عناصر تكوين الشخصية، وهي التي تُعْنى بالفرد في المراحل الأولى من حياته حيث توفر له الرعاية المادية والمعنوية.

وقد تتخلى الأسر عن واجباتها التربوية اتجاه أبنائها، إذ غالبا ما تلجأ الأسر التي تواجه مشاكل مع أبنائها إلى إيداعهم بمراكز التربية أو دور الحضانة أو الاعتماد كليا على المؤسسات التربوية، بحجة أنها لا تستطيع أن تضبط سلوكهم، أو بحجة كثرة انشغالات الوالدين بسبب ارتباطاتهم خارج الأسرة، وعند تخلي الأسرة عن مسؤولياتها اتجاه أبنائها فلا يتمكن المربي أو المعلم أو الشرطي أو القاضي مساعدة الطفل المعرض للانحراف دون مساعدة أسرته. ولكل أسرة أسلوبها الخاص في تنشئة أطفالها وضبط سلوكهم، ويختلف هذا الأسلوب في مظهره ومحتواه من موقف لآخر، ومن فرد لآخر، ومن أسرة لأخرى، وقد بيّنت الدراسات عموما أنّ هناك اتجاهين في تنشئة الأطفال، لكل واحد وسائله ومقدماته، ونتائجه.

الاتجاه الأول: ويعتمد أساليبا تربوية سليمة تؤدي إلى نمو الطفل في اتجاه إيجابي، وغالبا ما يعتمد على الضبط العقلاني القائم على الحب المدعم بعقلانية واعية، وتحديد سليم للمواقف ومتطلبات ذلك بشكل كبير، لذلك اعتبر هذا الاتجاه سليما.

الاتجاه الثاني: ويعتمد أساليبا تربوية خاطئة تؤدي إلى نمو الطفل في اتجاه غير سليم، لذلك اعتبر هذا الاتجاه سلبيا.

ويذكر الباحثون أنّ استعمال أساليب التربية الخاطئة يعتبر من أهم العوامل الأسرية صلة بتغير القيم لذا ارتأينا أن نوضّح كل أسلوب من أساليب التربية الخاطئة في تشكّل القيم السلبية.

- **أسلوب القسوة:** يتضمن هذا الأسلوب أشكالا من العقاب الجسدي كالصفع أو الضرب، أو كل ما يؤدّي إلى إثارة الألم الجسمي والنفسي في الطفل، وقد يكون مصحوبا بالتهديد اللفظي والمعنوي، وقد تصل شدة العقاب لدرجة إيذاء الطفل وقتله أحيانا. (الكتاني، 2000، ص77).

قد يلجأ الآباء للضرب عندما يسيء الطفل التّصرف بحجة أنّ العقاب يعدل سلوكه بسرعة وبفعالية، لكن الدراسات التجريبية بيّنت بالرغم من أنه أسلوب أساسي لكف السلوك غير المرغوب فيه مقارنة بالأساليب الأخرى، إلاّ أنه يتضمن نتائج سلبية أكثرها وضوحا تعلم قيم العداوة والكره والقسوة، فالآباء هنا يمثلون نموذجا عدوانيا يقلده الطفل، فيلجأ إلى استعمال العنف والقسوة لحل الصراع في تعامله مع الآخرين، وقد لا يتجاوب مع الآباء الذين يعاقبونه فيتجنب التعامل معهم أو الجلوس إليهم والانصياع لهم، وهذا يعطي الآباء فرصا أقل لتنشئة أطفالهم.

لقد توصل كثير من الباحثين الذين عالجوا موضوع الضبط الأسري إلى أنّ الانفعال أو التوتر المصاحب للعقاب البدني المستعمل في تقويم سلوك الطفل قد يعطل قدرة الآباء على الحكم الموضوعي لحسم المواقف، ويؤدّي لمزيد من النتائج السلبية سواء على مستوى نمو الطفل النفسي والاجتماعي، أو على مستوى طبيعة العلاقة بين الآباء والأبناء. (الدوري، 1985، ص249).

إنّ استعمال أسلوب القسوة في عديد من المجتمعات، وفي المجتمع الجزائري خاصة، غير مستبعد لدى جميع الأوساط حيث يسود الاعتقاد أنّ الضرب والعنف أسلوب أمثل لتقويم سلوك الطفل.

- **أسلوب التسلط**: ويعني تشدد الآباء على أبنائهم والمبالغة في ذلك دون الاهتمام برغباتهم واحتياجاتهم، ويعتمد هذا الأسلوب على أساليب قاسية كفرض الطاعة، والتهديد والعقاب الجسدي والصرامة الزائدة وتحميل الأطفال مهام ومسؤوليات تفوق طاقاتهم، وفرض طريقة أكلهم ونومهم ودراستهم، وشكل لباسهم ونوع حلاقتهم، كل هذا دون الشرح والإقناع. (صالح محمد، 2000، ص219).

وقد أظهرت الدراسات أنّ استعمال أسلوب التسلط في تربية الأبناء قد تكون له آثار سلبية على نمو شخصية الطفل فيثير لديه انعكاسات سلبية كاكتساب قيم الرفض والمعارضة والعداوة والشعور بالتعاسة والقلق وضعف الثقة بالآباء ممّا يترتب عن ذلك مزيد من المصاعب في وضع حدود تربوية سليمة ونشوء الطفل في اتجاه سلبي.

- **أسلوب الإهمال والنبذ**: ويقصد به تجنب الآباء التفاعل مع الطفل، فيترك دون تشجيع على السلوك المرغوب فيه، ودون محاسبة على السلوك المرغوب عنه، ودون توجيه إلى ما يجب أن يقوم به أو ما ينبغي عليه أن يتجنّبه. (الكتاني، 2000، ص79).

وتشير الدراسات إلى أنّ أسلوب الإهمال والنبذ غالبا ما يتواجد لدى الأسر المفككة، وهو يتمثل في إهمال الطفل جسديا ونفسيا وعدم تلبية حاجاته المختلفة مما ينعكس سلبا على شخصيته وعلى تكيّفه وعلى نموّه النفسي والاجتماعي، فيبث في نفسيته روح العدوانية، فيلجأ إلى لفت الأنظار إليه بممارسات إرادية أو لاإرادية تترجم اضطراباته النفسية، وتظهر في غالب الأحيان في سلوكات عدوانية كالانتقام من الواقع الذي يحيط به إمّا داخل الأسرة كممارسة قيم كراهة الوالدين وعصيانهم، وإمّا خارج الأسرة في شكل قيم سلبية كقيم العدوان والانتقام أو الكره.

- **أسلوب التذبذب بين الشدة واللّين**: ويعني عدم التوازن في السلطة بين الأبوين، فيتضمن التقلب في معاملة الطفل بين اللين والشدة، فالسلوك الذي يُقْبَل من أحدهما قد يرفض من الآخر، وقد يثاب مرة على السلوك ويعاقب عليه مرّة أخرى. ويعتبر هذا الاتجاه في معاملة الطفل من أكثر الاتجاهات الوالدية سلبية، لأنّ الأطفال قد يتكيّفون مع آباء متساهلين أو متسلطين، ومعاقبين أو مستحوذين، لكنهم يجدون صعوبة في التكيّف مع آباء متقلبين ومذبذبين، وبالتالي فالطفل لا يمكنه التكيف مع منظومة القيم التي تحملها تلك الاتجاهات، وقد يؤدّي به ذلك إلى سوء التوافق أو الانحراف.

وتظهر العديد من الدراسات في هذا الصدد، أنّ التذبذب في المعاملة يكون أكثر وضوحا لدى آباء الأطفال المنحرفين سواء أكان التذبذب في مواقف مختلفة أو بين الوالدين في المعاملة، فقد يعامل الأب أولاده على نحو مخالف لمعاملة الأم لهم وقد تختلف معاملة كل منهما للأطفال في الموقف الواحد، ويميل الطفل في هذه الحالة إلى الجهة التي يجد عندها العطف والحنان.

ونشير إلى أنّ اللاتوازن في السلطة بين الأبوين يظهر بوضوح في المجتمع الجزائري، إذ غالبا ما يرتبط العقاب البدني بدور الأب، وكثيرا ما تؤيّد الأم زوجها في موقفه تجاه أبنائه في حضوره، لكنها تتخذ العكس في غيابه، فتغرق طفلها بالحنان والعاطفة لتمحو قسوة أبيه، فيتميّز تصرفها اتجاه الأبناء بالتفهّم مع شيء من المرونة وإهمال العواقب، وهذا ما يجعل الطفل لا يفرق بين التصرفين.

ونظرا لكون نمط التذبذب من أشد الأنماط خطورة على الطفل، وعلى صحته النفسية، اعتبرت الأبحاث والدراسات في هذا المجال، التوازن في السلطة ضروريا بين الأبوين لإعطاء الطفل صورة واضحة عن السلوك المقبول أو المرفوض. (بقادة، 2008، ص92).

- **أسلوب التساهل**: يعتبر هذا الأسلوب من الأساليب التربوية التي تعمل على تشجيع الطفل ليحقق رغباته بالشكل الذي يحلو له، وتعمل على الاستجابة المستمرة لمطالبه، وعدم الحزم في تطبيق الثواب والعقاب، حيث لا يكلّف الأبوان نفسيهما أيّ عناء في استخدام أي أسلوب من أساليب ضبط سلوك الأطفال.

إنّ الآباء المتساهلين غالبا ما يعرقلون إحساس الطفل بالأمان، حيث لا يبعث الإفراط في التساهل على الثقة، لأنّ الرضوخ المستمر لمطالب الطفل قد يعكس ضعف الآباء، وهذا ينافي حاجة الطفل للشعور

بقوتهما اللازمة لحمايته، حيث أكدت بعض الدراسات أنّ استعمال أسلوب التساهل في معاملة الأبناء غالبا ما يترك أعراضا على شخصية الطفل، فقد أسفرت دراسة تحليلية، في هذا المجال، أجريت على ثمان وعشرين (28) طفلا، تراوحت أعمارهم ما بين ستة وسبعة عشر سنة، أنّ الأطفال الذين انحدروا من آباء متساهلين أكثر عصيانا، وعديمو المسؤولية، ويتصفون بالعناد والتمرد على السلطة، وفي مقابل ذلك يتصفون بالثقة في النفس ولهم أصدقاء خارج الأسرة. (إسماعيل و محمد، 1996، ص296)

2.3. اختلالات في جماعة الرفاق: يعرّف "جان شازال" Jean chazal جماعة الرفاق بأنها جماعة تتألف من زمرة من الأولاد يعوّضون بتجمعهم ورفقتهم قصور الوسط العائلي، من بؤس وقسوة، فهم من خلال هذه الزمرة يشعرون بالقوة والترابط والطمأنينة وإبراز الذات. (شازال، 2016، ص49).

وعرّفها آخرون بأنها اتصال جماعة متقاربة في الميول والأهداف والمستوى الاجتماعي والاقتصادي، اتصال مباشر، تربطهم علاقة محبة متبادلة وقيم ومعايير متشابهة وسلوك متوافق.

وقد عرفها "تشارلز كولي" C.H.Cooley بأنها الجماعة التي يتفاعل أفرادها وجها لوجه وتجمعهم علاقة ودية وعشرة طويلة نوعا ما. (بقادة، 2008، ص152).

وتزداد أهمية جماعة الرفاق نحو أفرادها في مرحلة المراهقة أكثر من المراحل الأخرى من عمر الإنسان، فهي تساعد المراهق على الاعتماد على النفس والتكيف الاجتماعي، والانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد، كما تعتبر البيئة الاجتماعية المناسبة كي يؤدي أدوارا اجتماعية معينة ما كان يستطيع القيام بها من دونها، وذلك نظرا للقيم الاجتماعية التي تسودها من تسامح وحوار وتصرفات عفوية وتصحيح وتقويم وتدريب عن قرب وبتكرار مستمر.

ونشير إلى أنه يمكن أن تكون جماعة الرفاق بيئة إيجابية للطفل عموما، وللمراهق خصوصا، حيث يستطيع أن يتعلم من خلالها كثيرا من القيم الاجتماعية الإيجابية مثل الصدق، الأمانة، الشرف، التضامن، التعاون، المواطنة، المسؤولية، المشاركة في الأنشطة الاجتماعية والثقافية والرياضية إلى غير ذلك من النشاطات التي تحقق للأطفال إشباع رغباتهم في اللعب والرياضة والترويح عن النفس وتنمية بعض الهوايات الفردية.

ومن جهة أخرى يمكن أن تكون هذه الجماعة بيئة سلبية يتعلم فيها الطفل أنواعا من القيم السلبية، ويتدرب من خلالها على آليات الخروج عن القيم الاجتماعية السليمة، من أجل إشباع بعض الميول العدوانية والخروج على السلطة خاصة سلطة الأسرة والأولياء أو النظام والقانون.

خاتمة:

يمكن القول أن التحديات التي تواجه المدرسة الجزائرية على المستوى القيمي تنبع من كون المنظومة التربوية في المجتمع تواجه تحولات عميقة، مما يدعو المدرسة إلى تنمية القيم الإيجابية المشتركة للمجتمع وترسيخ القيم الإنسانية لدى النشء، وملاءمة آليات وطرائق التربية والتعليم لنقل تلك القيم بأساليب مقنعة وفعالة.

وكان للتحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وانتشار مبادئ حقوق الإنسان أثر كبير في ظهور قيم جديدة تقوم على الحداثة والتنوع الثقافي والمواطنة الكونية، مما وضع الأطفال والمتعلمين في تناقضات كبيرة، تمثلت أساسا في محاولة البعض منهم المزاوجة بين القيم التقليدية، وما نتج عنها من مواقف وسلوكيات وبين قيم الحداثة وما يترتب عنها من تعديلات مستمرة على السلوك والمواقف وما ينجر عنها من خروج عن المعايير الاجتماعية المألوفة.

قائمة المراجع:

1- الدوري عدنان (1985)، جناح الأحداث، ط 1، منشورات دار السلاسل، الكويت.
2- الزبيدي مرتضى (1991)، تاج العروس، مج 9، ط 1، دار الفكر، بيروت، لبنان.
3- الكتاني فاطمة منتصر (2000)، الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان.
4- المغربي سعد (د.ت)، انحراف الصغار، دار المعارف، القاهرة.
5- بقادة زينب حميدة (2008)، أثر الوسط الاجتماعي في جنوح الأحداث، دراسة ميدانية لدور الأسرة والمدرسة والحي في جنوح الأحداث في الجزائر، أطروحة دكتوراه دولة الجزائر، جامعة الجزائر.
6- جلبي علي عبد الرزاق (2003)، دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.
7- دياب فوزية (2003)، القيم والعادات الاجتماعية، مكتبة الأسرة، مصر.
8- شازال جان (2016)، الطفولة الجانحة، ترجمة أنطوان عبده، ط 1، عويدات للنشر والطباعة، مصر.
9- محمد علي محمد غريب، سيد أحمد جلبي، وعلي عبد الرزاق، (2003)، المجتمع والثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية، الاسكندارية، مصر.
10- إسماعيل عماد الدين، محمد أحمد غالي (1996)، في علم النفس النمائي، دار القلم، الكويت.
11- حيمر عبد السلام، (2013)، مسارات التحول السوسيولوجي في المغرب، ط 2، سلسلة شرفات 34.
12- صالح محمد علي أبو جادو (2000)، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، ط 2، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.
13- عبد اللطيف محمد خليفة (1992)، ارتقاء القيم دراسة نفسية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت.
14- محمد عاطف غيث (2016)، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.
15- محمود حسن (2021)، الأسرة ومشكلاتها، المركز العربي لتحميل البرامج، arab.up.
16- Pierre Bourdieu et Abdelmalek Sayed (2002), le déracinement, édition minuit, Paris.